﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه: 25 - 28]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

أوامـــر اللـه سـبـحـانـه مـصـحـوبـةٌ بـرعـايـتـه، ومـحـوطـة بحفظه وعنايته

لَمَّا أظهر اللّهُ له الآيتين علمَ بذلك أنَّه مؤيَّد منَ اللّه تعالى، وعرفَ أنَّه كُلِّف أمرًا عظيمًا، وخطبًا جسيمًا، وهو مواجهة أعظم ملوكِ الأرض يومَئِذ بالموعظة، ومكاشفتُه بفساد حاله، وهو ما يحتاج إلى احتمال ما لا يحتمله إلَّا ذو جأش رابط، وصدر فسيح؛ فسأل ربّه أن يشرح صدرَه؛ فيجعلَه حليمًا حمولًا؛ ليحتملَ ما يَرِد عليه منَ الشّدائد التي يضيق لها الصّدر، وأن يُسَهّلَ عليه أمرَه الذي هو خلافة اللّه في أرضه وما يصحبها من مُزاولة عظائم الشّؤون، ومقاساة جلائل الخطوب، وأن يُطلق لسانَه بالنّطق؛ ليفهموا قوله حين تبليغ الرّسالة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱشۡرَحۡ﴾: أصلُ الشَّرْحِ: بسط اللّحم ونحوه، يقال: شَرَحْتُ اللّحمَ، وشَرَّحْتُهُ، ومنه: شَرْحُ الصّدر، أي: بسطُه بنور إلهيّ وسكينةٍ من اللّه وروحٍ منه، وفي التَّنْزيل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام: 125][2]، والشَّرْحُ: الكَشْفُ[3]، وعليه: فالشَّرْحُ في الآية حَقيقَتُهُ إزالَةُ ما في نَفْسِ الإنْسانِ مِنْ خَواطِرَ تُكَدِّرُهُ، أَوْ توجِبُ تَرَدُّدَهُ في الإقدامِ على عَمَلٍ ما، تَشْبيهًا بِتَشْريحِ اللَّحْمِ، بِجامِعِ التَّوْسِعَةِ[4].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 60، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 327، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 496.
(2) الرّاغب، المفردات: (شرح).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (شرح).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 210.

2) ﴿صَدۡرِي﴾: الصَّدْرُ: أَعلى مُقَدَّم كُلِّ شَيْءٍ وأَوَّلُه[1]، وهو الجارحة، وجمعه: صُدور، وقوله: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ سؤالٌ لإصلاح قِواه، وكذلك قوله: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ [التّوبة: 14] إشارةٌ إلى اشتفائهم، وقولُه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحجّ: 46]، أي: العقول التي هي مندرسة فيما بين سائر القوى وليست بمهتدية[2].

3) ﴿وَيَسِّرۡ﴾: أصلُ الكلمَة يَدُلُّ على انْفِتاحِ شَيْءٍ وخِفَّتِه، فاليُسْرُ: ضِدُّ العُسْرِ والمَشَقَّة[3]، والتَّيسيرُ: التَّسْهيلُ، وقَدْ يَسَّرَه اللّه لليُسرى، أي: وفَّقَه لَها[4]، والمُرادُ بالتَّيْسيرِ في الآية: جَعْلُ الشَّيْءِ يَسيرًا، أي: ذا يُسْرٍ[5].

4) ﴿وَٱحۡلُلۡ﴾: (حَلَّ) فتْحُ الشَّيْءِ، يُقالُ: حَلَلْتُ العُقْدَةَ أَحُلُّها حَلًّا: فتَحْتُها ونَقَضْتُها فانْحَلَّتْ[6]، والحَلّ في الآية مراد به: فتحُ وسَلامَةُ آلَةِ التَّبْليغِ، وهو اللِّسانُ، أي: أَنْ يَرْزُقَهُ فصاحَةَ التَّعْبيرِ والمَقْدِرَةَ على أَداءِ مُرادِه بِأَوْضَحِ عِبارَةٍ[7].

5) ﴿عُقۡدَةٗ﴾: عُقْدَةُ اللِّسانِ: ما غَلُظَ مِنْهُ، وفي لِسانِه عُقْدَةٌ وعَقَدٌ، أي: التِواء، ورَجُلٌ أَعْقَدُ وعَقِدٌ، أي: في لِسانِه عُقْدَةٌ أَو رَتَجٌ؛ وعَقِدَ لسانُهُ يَعْقَدُ عَقَدًا[8]، ويُقالُ لَها حُبْسَةٌ أيضًا، والمراد بالعُقدَةِ في الآية: عُسْر النُّطْقِ بِالكَلام، أَوْ ببَعْضِ الحُروفِ[9].

6) ﴿يَفۡقَهُواْ﴾: (فقه) أَصْلٌ واحِدٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على إِدْراكِ الشَّيْءِ والعِلْمِ به[10]، ويأْتي الفِقْهُ بِمعنى الفَهْم[11]، يُقال: فقِهْتُ الحَديثَ، أيْ: فهمتُهُ، والفِقْهُ أيضًا: الإِدْراكُ والعِلْمُ بِالشَّيْءِ، يُقالُ: فَقُهَ الرَّجُلُ، فقاهَةً وفِقْهًا، وفَقَّهَهُ اللّهُ وتَفَقَّهَ، أيْ: تَعَلَّمَ[12]، ثُمَّ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (صدر).
(2) الرّاغب، المفردات: (صدر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (يسر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (يسر).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.
(6) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (حلّ - حلل).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.
(8) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عقد).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فقه).
(11) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (فقه).
(12) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فقه).

خُصَّ بِه عِلْمُ الدّينِ؛ لِشَرَفِه على جَميعِ العُلومِ[1]، والمقصودُ بالفِقْه في الآية: الفَهْمُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إذا لم يكن عونٌ منَ الله للفتى فـأوَّلُ ما يجني عليه اجتهادُه

في هذا النصِّ القرآنيِّ المبارك يرشدنا المولى ﷻ إلى أمر ذي أهمّيَّة عظيمة، وهو اللّجوء إليه والاستعانة به في كلِّ أمرٍ، وذلك مِنْ خلال ما يحكيه على لسان نبيِّه الكريم موسى عليه السلام، حيثُ تضرَّعَ إلى ربِّه قائلًا: ربِّ وسِّعْ صدري وأَفْسِحْه لتحمُّل أعباء الرِّسالة، وسهِّل لي ما أمرتني به، وأزل هذه الحُبْسَةَ والرَّبطةَ الَّتي في لساني؛ كي يفهموا قولي عند تبليغ هذه الرِّسالة الَّتي كلَّفْتَني بها، إنَّك على ما تشاء قدير[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ عن سابقه:

من دلائل الإخبات والإنابة سرعةُ التّسليم والاستجابة

فُصل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ عن سابقه، لأنَّه استئناف بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مُقدَّر؛ فكأنّه بعد أن قيل له: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ قيل: فماذا قال؟ فكان الجواب: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾؛ فلم يُعطَف بينَ الجملتين جريًا على طريقة المحاورات، وليدلَّ كذا على سرعة استجابة موسى عليه السلام لأمر ربّه تعالى؛ فحين أُمر بتبليغ الرّسالة لم يتردَّد، بل تلقَّى الأمر وسأل الله الإعانةَ عليه، بما يؤولُ إلى رباطة جأشه، وخَلْقِ الأسباب التي تُعينُه على تبليغه، وإعطائِه فصاحةَ القولِ للإسراع بالإقناع بالحُجّة[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فقه).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 52 - 54.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 429، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 12، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 496.

سِرُّ إيثارِ التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة دونَ الأُلوهيَّة:

ربّ العالمين هو الله، ولا فعَّال في الكون سواه

سِرُّ إيثار التَّعبير بعنوان الرُّبوبيَّة في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ دونَ الأُلوهيَّة، هو أنّ سؤال موسى ﷺ شرحَ صدرِه، وتيسيرَ أمرِه، وحَلَّ عقدةِ لسانِه، كلُّ هذا من متعلّقات الرّبوبيّة؛ فالرّبُّ هو الصَّاحب والمُدبّر والمُتصرّف؛ فلذا آثَر موسى ﷺ لفظَ الرّبوبيّة دونَ غيره، وأيضًا، لأنّ فرعون كان قد جاوز حدّ العبوديّة إلى دعوة الرّبوبيّة؛ فعبّر موسى بلفظ الرّبوبيّة؛ ليثبتها لله، وينفيها عنِ الدّعيّ فرعون عليه لعنة الله، وقد بيّن الله سبحانه له فيما سبق كلّ ما يتعلق بالأديان من معرفة الرّبوبيّة والعبوديّة وأحوالِ المعاد، وكل ما يتعلّق بشرح الصّدر في باب الدّين[1].

دلالة حذفِ أداةِ النِّداء من ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾:

يقابل سبحانَه السّؤالَ والدّعاءَ بالقبول والعطاء

لم يذكر موسى ﷺ أداةَ النِّداء في سؤاله ربَّه ﷻ بقوله: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ﴾، وأصل الكلام: (يا ربّ اشرح لي صدري)؛ للتَّعبير عن مدى قربه منَ الله، وقربِ الله سبحانه منه، فهو سبحانه السَّميعُ المحيط بالمسموعات، والبصيرُ المحيط بالمبصَرات، وهو مع عباده المؤمنين أينما كانوا[2].

الغرض منَ التّعبير بفعل الأمر في: ﴿ٱشۡرَحۡ﴾:

من دعائم الإصلاح الثَّبات وقتَ الأزمات، والصّبرُ عند اشتداد الكربات

الغرض منَ الطّلب في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ الدّعاءُ؛ والغرضُ من هذا الدُّعاء إظهارُ كمالِ الافتقار إلى الله سبحانه، والإعراضُ عنِ الأنانية بالكليَّة؛ ليستطيعَ تحمُّلَ أعباءِ الرِّسالة، وليكون عليمًا بشؤون الحقِّ وأحوال الخَلْق، حليمًا حمولًا يستقلُّ ما عسى يَرِد عليه منَ الشَّدائد والمكاره، بجميل الصّبر، وحُسْن الثَّبات، ويتلقَّاها بصدر فسيح، وجأش رابط، وأن يَسْهُل عليه - مع ذلك

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 30، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 430.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 32.

- أمرُه الذي هو أجلُّ الأمور وأعظمُها، وأصعبُ الخطوبِ وأهولُها، بتوفيق الأسباب ورفع الموانع[1].

سِرّ تقييد الفعل في قوله: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾:

الشَّرح هنا متعلّق بكلمة: ﴿صَدۡرِي﴾، والغرض من ذِكْر هذا المُتعلَّق هو رفع الإبهام عنِ الكلام، فلو قيل: (اشرح لي) دونَ ذِكْر الصَّدر؛ لعُلِمَ أنَّ ثَمَّ مشروحًا، ولكنّه غيرُ معلوم، لكنّه لمَّا ذُكِر الصّدرُ؛ كان ذلك آكدَ لطلبِ الشَّرح لصدره[2].

الحِلْم والأناة سبيلُ المُصلِحين والدّعاة

سِرُّ تقديم سؤال الشَّرح على غيره ممَّا سُئل:

قُدِّم سؤالُ الشَّرح على غيره ممَّا سأله موسى عليه السلام؛ لأنَّه رتّب الأشياءَ التي سألَ ربّه في كلامه على حسب ترتيبها في الواقع؛ فقدّم الشّرح، ويعني به إزالةَ ما في النّفس مِن خواطرَ تُكَدِّرُه أو توجِبُ تَرَدُّدَه في الإقدام على الأمر العظيم الذي كُلِّفَ به، وهو تبليغ رسالاتِ الله التي أُنزِلَت إليه إلى النَّاس، مع تحمّل ما يلقاه منهم مِن أذًى في حِلْم وصبر، وهذا أوَّل ما يَبْتَدِئ به المُصلحون[3].

شرح الصَّدر مبتدأُ الأمر، وعلامةُ التَّسهيل واليُسر

معنى اللَّام ودلالتها في قوله: ﴿لِي﴾:

اللَّام في قوله: ﴿لِي﴾ لام التَّبيين، التي تُفيد تقويةَ البيان؛ أو زيادةَ الطَّلب وضوحًا، فإنَّه منَ الواضح أنَّ الشَّرح والتَّيسير متعلِّقان بكلمتي: ﴿صَدۡرِي﴾، و﴿أَمۡرِي﴾؛ وقوله: ﴿لِي﴾ زيادةُ بيان، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ [الشّرح: 1]؛ تعبيرًا عن إلحاحه عليه السلام في الدّعاء لنفسه[4].

مَن كَثُر دعاؤه، وطالَ رجاؤه؛ زاد عطاؤه، وكثُرت نعماؤه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 12، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 430، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 496.

(2) القنوجي، فتح البيان: 8/ 227، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4719.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 210.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4719.

بلاغة الإطناب ذِكر شبه الجملة ﴿لِي﴾ في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾:

بيده سبحانه تصاريفُ العباد، ومنه العونُ والإمداد

زيادة ﴿لِي﴾ بعد: ﴿ٱشۡرَحۡ﴾ في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ إطنابٌ؛ حيثُ إنَّ الكلام يكون تامًّا ومفيدًا بدونه، ولكنَّه جيء به لإفادة معنى العِلَّة أو التَّخصيص؛ أي: اشرح صدري لأجلي؛ للدّلالة على أنَّ منفعة شرحِ الصَّدرِ راجعةٌ إليه، أو أنَّه يطلب منَ اللّه أن يشرح صدرَه شرحًا خاصًّا يتَّسع لتلقّي المهمَّةِ الثَّقيلة المُلقاةِ عليه، وذلك حتَّى يقومَ بها على خير ما ينبغي؛ مبالغةً في الاستجابة لأمر اللّه تعالى[1].

الغرض من تقديم شبه الجملة على المفعول به:

في التَّقديم تأكيد للحُكم وتقوية، لبيان أهمّيَّة حصول التَّزكية

أفاد تقديم شِبْه الجملة على المفعول به في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾، تقويةَ الحُكم عن طريق تكرُّر الإسناد؛ لإفادة حصول الإجمال ثمّ التَّفصيل، كما أنّه يُفيد التَّأكيدَ على أنّ شرح الصَّدرِ راجعٌ إليه ﷺ[2].

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾:

ذهاب الكدر والمنغّصات؛ بداية التَّبليغ ومنطلقُ حَملِ الرِّسالات

في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ استعارة تصريحيّة؛ حيثُ إنّ الشَّرح هو تقطيعُ ظاهر شيء ليِّن، واستُعير هنا لإزالة ما في نفس الإنسان من خواطرَ تكدّرُه أو توجِبُ تردُّدَه في الإقدام على أعتى ملوك الأرض، وأكثرِهم فسادًا، تشبيهًا بتشريح اللّحم، بجامع التّوسعة[3].

سِرُّ إيثار التَّعبير بالصَّدر دون القلب:

رحابةُ المَحلِّ دليلٌ على اتِّساع الحالِّ فيه

آثَر موسى ﷺ التَّعبيرَ بالصَّدر دون القلب في قوله: ﴿ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾؛ لأنَّ الصّدر هو الوعاء الذي يحوي القلب، فكلّما اتّسع الوعاءُ كان ذلك أرحبَ للمظروف فيه، وهو (القلب)؛ أو أنّ فيه

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 328، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 12، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 210.

مجازًا مرسلًا علاقته المحلّيَّة؛ حيثُ ذُكِر المَحلّ (الصدر)، وأراد الحالّ فيه (القلب)؛ والغرضُ منه المبالغةُ في الشَّرح أو التَّوسعة.

عِلَّة وصلِ قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾ بسابقه:

وُصِلَ قولُه: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾ بسابقه؛ لاتِّحاده معه إنشاءً ومعنًى، فكِلتا الجُملتين دعاءٌ يترتَّب بعضُه على بعض، وليس ثمَّ ما يقتضي الفصل، وقد حسَّن الوصل دون الفصل وجودُ المغايرة بينَ الجملتين مع التَّلاؤم الفكري بينهما؛ حيثُ إنّ الطلب الأوَّل كان خاصًّا بشخصه، والثَّاني كان خاصًّا برسالته التي حُمِّلَها وكُلِّفَ بها عليه السلام[1]، مع كون الجُملتين فعليَّتين، فعلُهما دعاءٌ.

الـلـه تـعـالى يجعل العسيرَ يسيرًا

الغرض منَ التّعبير بفعل الأمر: ﴿وَيَسِّرْ﴾:

جاء الفعل ﴿وَيَسِّرْ﴾ على صورة الأمر، ولكنَّ الغرض منه هاهنا هو الدُّعاءُ؛ لأنَّه صادر منَ الأدنى إلى الأعلى، والغرضُ من هذا الدُّعاء إظهارُ كمالِ الافتقار إلى الله سبحانه، ونهايةِ التَّضرُّعِ والتَّذلُّلِ له ﷻ، وذلك ليَسْهُل على موسى عليه السلام القيامُ بما كُلِّف به من أعباء الرِّسالة، وتحمّل ما فُرِض عليه منَ الواجبات[2].

لا يجعلُ الحَزنَ سهلًا إلَّا اللهُ، ولا يدفعُ المكروهَ أحدٌ سواه

بلاغة الإطناب بذِكر شبه الجملة ﴿لِيٓ﴾ في قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾:

زيادة ﴿لِيٓ﴾ بعد قوله: ﴿وَيَسِّرْ﴾ في قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾ إطنابٌ؛ حيثُ إنَّ الكلام يكون تامًّا ومفيدًا بدونه، ولكنّه عليه السلام جاء به هنا لإفادة معنى العِلّة أو التَّخصيص؛ أي: يسِّر أمري لأجلي؛ للدّلالة على أنّ منفعة تيسير أمر دعوته راجعٌ إليه، أو أنّه يطلب منَ الله تيسيرًا خاصًّا يناسب هذه المهمّةَ الجليلة التي أُنيطت به؛ حيثُ إنّه سيواجه دولةً فرعونيَّةً مليئةً بالطُّغيان والاستبداد، والاستكبار والعِناد[3].

سبحانه بكلّ جليل كفيل، وهو على شيء وكيل

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4719.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 12، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 430، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 496.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 328، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 12، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.

سِرّ إضافة الأمر إلى ضمير المتكلِّم في قوله: ﴿أَمۡرِي﴾:

تلقّى موسى أمرَ ربِّـه بالطّاعة وكمالِ الدّيانة، وسـأل الله الإعانةَ

أُضيف الأمرُ إلى ضمير المتكلِّم في قوله: ﴿أَمۡرِي﴾؛ لإفادة مزيدِ اختصاصِ الرِّسالة به ﷺ[1]، وفي هذا دليلٌ على تلقّي موسى ﷺ أمرَ ربِّه بالسَّمع والطَّاعة، فلمَّا قال اللّهُ تعالى له: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾، جعله موسى ﷺ أمرًا خاصًّا به، وبادر بحمله، ورجا منَ الله أن يشدَّ أزرَه وعضدَه بأخيه، فأجابه اللّهُ لما سأل، وحقَّق له ما أمَّل.

علّة وصل قوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ﴾ بسابقه:

لهج لسانُ الكليم بالدُّعاء أن يعينَه الله في التّحمُّل والأداء

وُصِلَ قولُه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ بسابقه لما بينَ الجُملتين منَ المناسبة المعنويَّة، واتِّفاقِهما في الإنشائيَّة، مع ما بينَ الجملتين منَ المغايرة في وجود التَّلاؤم الفكريّ بينهما، فكلتا الجملتين دعاءٌ وطلب؛ كان الطّلب الأوَّل خاصًّا بالتَّحمُّل، وكان الطَّلب الثَّاني خاصًّا بالأداء[2]، وقد حَسَّن الوصلَ مجيءُ الجُملتين فعليَّتين، فِعْلُهما دعاءٌ.

الغرضُ منَ التّعبير بفعل الأمر في: ﴿وَٱحۡلُلۡ﴾:

أخلص الكليمُ في دعائه ربَّه والتَّوكُّلِ عليه، وأظهر كمالَ الافتقارِ إليه

الغرض منَ الطّلب في قوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ هو الدُّعاء، رغمَ مجيءِ الفعل على صورة الأمر، ولكنَّه لمَّا كان صادرًا منَ الأدنى إلى الأعلى على جهة التَّضرُّع والتَّذلُّل، كان الغرض منه الدُّعاء؛ والغرضُ من هذا الدُّعاءِ إظهارُ كمالِ الافتقار إلى الله سبحانه، والإخلاصُ في التَّوكُّل عليه، والتَّبرُّؤُ منَ الحول والقوَّة لديه.

سِرُّ التَّعبير بالصّيغة ﴿وَٱحۡلُلۡ﴾ دون (حُلَّ):

في فكِّ التَّضعيف والشَّدَّة إلماحٌ لحلِّ العقدة والشِّدَّة

سرُّ التَّعبير بالصّيغة ﴿وَٱحۡلُلۡ﴾ دون (حُلَّ) هو أنّه توالي الحركة والسُّكون يُشعِر بنوع تغلغل وتخلخل وتفكُّك، وكأنَّ شيئًا كان مُصمتًا ومعقودًا دخلَه ما فرَّقه وفكَّ عُقدَه، وهذا هو المناسب هاهنا، فلو قال: (حُلَّ) لم يكن لفظُه هذا لائقًا أو مناسبًا بالمعنى المُراد؛ لما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4719.

في التَّضعيف الذي في آخر الفعل من دلالةٍ على الشَّدِّ والعقد الذي هو نقيض ما أراده موسى عليه السلام من حلِّ العُقدة من لسانه، لكن لمَّا قال: ﴿وَٱحۡلُلۡ﴾ فقد فكَّ تضعيف اللَّام إلى حرفين، أوَّلهما مضموم، والآخر ساكن؛ للدّلالة على حلِّ العُقدة، وإزالة الشِّدَّة.

الغرض من تنكير ﴿عُقۡدَةً﴾ وتوجيه المراد بها:

التّبليغ إنّما يَحْسُن مِنَ البليغ

جاء لفظُ ﴿عُقۡدَةً﴾ في قوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ نكرةً؛ والغرض منه التَّعظيم؛ أي: إنَّها عقدةٌ شديدة، ولمَّا كانت تلك العقدة عارضةً لآفة حادثة، كان المناسب لحالها التَّنكيرُ، حيثُ لم تكن من جنس ما هو المعهود[1]، وقيل: إنّما نُكِّرت لأنَّه لم يطلبِ الفصاحةَ الكاملة، وإنَّما طلب حَلَّ بعضِها إرادةَ أن يفهم سامعُه عنه فهمًا جيِّدًا؛ حيثُ إنَّ أمر التَّبليغ لا يتيسَّر إلَّا بذلك؛ وهذا المفهوم دلَّت عليه آياتٌ أُخر، كقوله تعالى عنه: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ [القصص: 34][2].

معنى ﴿مِّن﴾ ودلالتها في قوله: ﴿مِّن لِّسَانِي﴾:

إصلاح بعضِ عُقَد اللِّسان يكون قبلَ إصلاح البيان

جاءت ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن لِّسَانِي﴾ تحمل معنى الظَّرفيَّة؛ أي: احلل العقدة الكائنة في لساني، ويمكن اعتبارها ابتدائيَّة؛ أي: العقدةَ النَّاشئة من لساني، فيَنْصَبُّ الإصلاحُ على الآلة التي هي اللِّسان، قبلَ إصلاح البيان، ويمكن جعلُها تبعيضيَّةً؛ أي: احلل بعضَ عقدةِ لساني؛ لأستطيع إيصالَ الرِّسالةِ العظيمة التي حمَّلتَنيها[3].

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾:

لفصاحة اللّسان تأثير بالغٌ في النّفوس والوجدان

جاء لفظُ ﴿عُقۡدَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ على طريقة الاستعارة التَّصريحيَّة؛ حيثُ شبَّه موسى عليه السلام عسرَ النُّطق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.
(2) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 430، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 496، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 496.

بالكلام أو ببعض الحروف، المانعَ منَ الفصاحة، برَبط بعضِ الخيط أو الحبلِ ببعضه الآخر، المانعِ منَ الانطلاق في حال الحركة[1].

نُكْتةُ بناء الجملة على أسلوب الشَّرط ﴿وَٱحۡلُلۡ﴾: ﴿يَفۡقَهُواْ﴾:

حُسْن التِّبيانِ أداةُ القيادِ والإذعان

جاء الفعل ﴿يَفۡقَهُواْ﴾ في قوله: ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ مجزومًا في جواب الأمر؛ لجعل الشَّيء المطلوب بمنزلة الحاصل، وذلك كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور: 30]، أي: إنَّه إن تكلَّم معهم دونما تلعثمٍ فهموا قولَه ومرادَه في الحال[2].

وبناء الجملة على أسلوب الشَّرط ممَّا يفيد التَّوكيد بتَحَقُّقِ المشروط متى تحقَّق الشّرط، فهو كالسَّبب والنَّتيجة، وهذا من شِدَّة حرصِ نبيِّ اللّه موسى عليه السلام على دعوة قومه، والقيام بأداء المهمَّة التي كلَّفه اللّهُ بها خيرَ قيام يُرضي عنه ربَّه سبحانه.

دلالة التَّعبير بالفقه من حيثُ المادَّةُ والصّيغة:

الفقه أخصُّ منَ الفهم، ويحصل به حوزُ أشرافِ العلم

التَّعبير بالفقه في قوله: ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ أفاد أنَّ موسى عليه السلام لم يُرِد أن يفهم القومُ كلامَه فحسب، بل أن يعقلوه ويتدبَّروا ما فيه؛ وذلك أنَّ فرعون قد ملأ آذانهم بكلام تلقَّفوه عنه فأذعنوا له به، وتناقلوه فيما بينهم، كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾ [الزّخرف: 54]، ولو أنَّهم تفكَّروا فيه قليلًا لأدركوا تهافته، وموسى عليه السلام يعرف ذلك لأنَّه نشأ في قصر فرعون، فأراد موسى ما هو أخصُّ منَ الفهم، فعبَّر بالفقه.

نُكْتةُ إسناد القول لضمير المتكلِّم: ﴿قَوۡلِي﴾:

في الإضافة تخصيص وتحديد

في إضافة القول إلى ضمير المتكلِّم في قوله: ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ إفادةُ الاختصاص[3]، ذلك أنَّه لمَّا سأل حلَّ العُقدةِ من لسانه عليه السلام

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 327، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4720.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4720.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 211.

وجعلها خاصَّة به، أتبعها كذلك بتخصيص القول بنفسه، ليشاكلَ ما كان في عقدة اللِّسان من تخصيص.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحلّ والفكّ:

أصلُ الحَلّ فتح الشّيء

أصل الحَلّ فتح الشّيء[1]؛ يقال: حللتُ العقدةَ أَحُلُّها حَلًّا، أي: فتحتها[2]، وأصل الفكّ: الفَصلُ بينَ الشّيئين، وتخليصُ بعضِهما من بعض[3]؛ يقال: فككتُ الشّيءَ فانفكَّ، بمنزلة الكتاب المختوم تَفُكُّ خاتمَه، كما تَفُكّ الحَنَكين تفصِل بينهما، وكلُّ مُشتبكَين فصلتَهما فقد فككتَهما[4].

أصلُ الحَلّ فتح الشّيء، وأصلُ الفكّ الفصل بين الشّيئين

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حلل).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (حلل).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فكك).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (فكك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»